



خُصْبَةُ عِيدِ الْفِضْرِ

تأليف

العالم العلامة

قطب الأئمة محمد بن يوسف اطفيش رحمته الله

(ت 1332هـ/1914م)

ضبط النص

الناصر بن حمو أويابه



جميع الحقوق محفوظة

منشورات كنوز الأثر

قصر غرداية

الطبعة الأولى

1437هـ - 2016م

للتواصل

044 44 29 43

mosquelib@gmail.com

خُصْبَة

عِيدِ الْفِصْرِ



بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

خطبة عيد الفطر

اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ (سَبْعًا)
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ شَهَادَةً بِلِسَانِي،
تَوَلَّدَتْ مِنْ رُسُوحِ الْإِيمَانِ فِي جَنَانِي، وَانْفَعَلَتْ بِهَا جَوَارِحِي وَأَرْكَانِي،
وَلَا خَيْرَ فِي أَقْوَالٍ تَنْقُضُهَا أَفْعَالٌ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَإِهْمَالٍ،
فَعَامِلْنَا اللَّهُمَّ بِالْإِفْضَالِ فَوْقَ الْمُعَامَلَةِ بِالْأَفْعَالِ.

وَلَا يَخْفَى عَنْكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَانُ، أَنَّ النَّاسَ لَهُمْ طَرِيقَانِ، وَأَنْهُمْ فَرِيقَانِ،
فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَالْحَبُورِ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ وَالْثُّبُورِ، وَلَا نَخْلُو مِنْ
الذَّنْبِ لَكِنْ عَلَيْنَا الْفِتَاءُ، وَالْحَسَنَاتُ يَذْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ، فَبَادِرُوا
بِالْخَمْسِ قَبْلَ الْخَمْسِ، فَكَأَنَّ كُلَّ غَدٍ لَكُمْ أَمْسٌ، فَجُودُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ
بِنَارِ الْقَرَى وَهِيَ أَسْهَلُ، وَبِنَارِ الْهَيْجَا وَهِيَ أَهْوَلُ، أَلَا إِنَّهَا جِهَادُ النَّفْسِ،

وَجَهَادُ أَهْلِ الرَّجْسِ، وَدَعَّ عَنْكَ الشَّحَّ وَنَارَ الْحَبَابِ، فَلَسْتَ لَهَا إِنْ
 اتَّعَظْتَ بِصَاحِبِ، وَلَا تَغْتَرُّوا بِالدُّنْيَا فَإِنَّهَا خُلٌّ لَيْسَ بِنَاصِحٍ، وَمَا لَهَا
 وَشَهَوَاتُهَا مَا بَيْنَ غَادٍ وَرَاحٍ، وَلَا تَغْفُلُوا عَنْ لَيْسَ عَنْكُمْ بِغَافِلٍ،
 وَأَرَاكُمْ وَاللَّهِ قَدْ أَكْبَيْتُمْ بِجُهِدِكُمْ عَلَى مَا هُوَ عَنْكُمْ آفِلٌ، وَاللَّهُ بِالْمَرْصَادِ
 وَهُوَ بَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ كَافِلٌ، وَأَمِنْ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، فَكَمْ مَرَّةً أَرَدْتُ
 عَمْرَؤاً وَأَرَادَ اللَّهُ خَارِجَةً، وَكَمْ تَوَقَّعْتُ مِنَ الصَّعَابِ أَمْرًا وَأَرَادَ اللَّهُ بِهِ
 فَارِجَةً، وَاجْتَهِدُوا فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ لِيَوْمٍ عَسِيرٍ.

قِيلَ لِلْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّكَ شَيْخٌ كَبِيرٌ لَا تُطِيقُ الصَّوْمَ، فَقَالَ:
 أُعِدُّ لِحَرِّ يَوْمٍ شَدِيدٍ، يَوْمَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَالصَّبْرُ عَلَيْهِ أَهْوَنُ مِنَ الصَّبْرِ
 عَلَى الْعَذَابِ، وَ الصَّبْرُ عَلَى أَكْلِ الزَّقُّومِ وَشَرْبِ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنَ
 الرِّصَاصِ الْمَذَابِ.

وَيُرَوَّى مِنَ الْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ وَالْجُمُعَةِ وَرَمَضَانَ وَالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ إِلَى
 أَمْثَالِهِنَّ كَفَافِيرٌ، وَكَمْ مِفْتَاحٌ لِلْجَنَّةِ وَلِلنَّارِ مَغَافِيرٌ، لَكِنْ أَحَافُ عَلَيْكَ أَنْ
 تَبْنِي وَتَهْدِمَ، وَلَا تَذَرِي أَبَالِنَاءَ أَوْ الْهَدْمَ تَخْتِمُ، فَقَدْ حَانَ أَنْ يُنْفَخَ فِي
 الصُّورِ، وَيَنْقَرُ فِي النَّاقُورِ، وَيَبْعَثَ مِنْ فِي الْقُبُورِ، وَالْمَرْءُ يَعْمَلُ بِمَعَاصِيهِ
 فِي نَفْسِهِ فَوْقَ مَا يَعْمَلُ فِيهِ عَدُوهُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَمِنْ جَنْسِهِ، وَالْمُسْلِمُ
 مِنَ الْمَعْصِيَةِ يَتُوبُ، وَإِلَى الطَّاعَةِ يُؤُوبُ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِشَهْرِ تَضَاعَفَ فِيهِ الْأَجُورُ لِلْمُتَتِّمِ الشُّكْرِ، إِذَا شَمَّرَ فِيهِ عَنِ السَّاقِ، أَلَا إِنَّهُ رَمَضَانُ وَقَدْ مَضَى وَصَارَ مِنْ أَخْبَارِ كَانٍ، فَنَالَ قُصُورَ اللُّلُؤِ وَالْمَرْجَانِ، وَ مَا لَا تُدْرِكُهُ حَاسَةٌ وَلَا قَلْبُ إِنْسَانٍ، وَإِنَّمَا فَازَ بِالْإِحْزَامِ فِي الْقِيَامِ وَالصِّيَامِ، وَخَابَ مَنْ مَنَعَ نَفْسَهُ الْمَاءَ وَالطَّعَامَ وَنَحْوَهُمَا، وَأَفْطَرَ بِمُقَارَفَةِ الْآثَامِ، وَهُوَ بِمَا فِي الْأَرْضِ مَفْتُونٌ وَفَتَانٌ، فَاجْتَنَى الْعِقَابَ وَالْخُسْرَانَ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنْ

عَلَيْهَا فَا نِ﴾ [الرحمن: 26]، وَإِنَّمَا الْهَنَا لِمَنْ أَلْفَ الْعَنَا، فَاسْكُبُوا عَلَى فِرَاقِهِ الدَّمُوعَ، وَأَعِزُّوهُ عَلَى أَنْ لَا يَكُونَ لَكُمْ إِلَى التَّهَاوُنِ وَالتَّقْصِيرِ رَجُوعٌ، فَقَدْ تَعَرَّضَ لَكُمْ بِالْخَيْرَاتِ وَلَيْلَةَ الْقَدَرِ، وَأَعْرَضْتُمْ عَنْهُ بِالْبَطَالَةِ وَالْوُزْرِ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ سَحَقَ مَنْ لَمْ يَسْعُدْ بِهَذَا الشَّهْرِ أَوْ بِوَالِدِيهِ أَوْ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ إِذَا ذُكِرَ سَيِّدُ عَلَى دَهْرٍ، عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، عَدَدَ ذَرَّاتِ الْأَعْرَاضِ وَالْأَجْسَامِ، فِي عُلُوِّ وَسُفْلٍ عَلَى الدَّوَامِ بِلَا انْصِرَامٍ، وَعَلَى أَيِّ حَالٍ كُنْتُمْ مِنَ الْأَحْوَالِ؟.

فَتَدَارَكُوا بِصَوْمِ سِتَّةٍ مِنْ شَوَّالٍ، فَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُمْ كَسَتَهُ مِنْ رَمَضَانَ فِي الْأَجْرِ، فَصُومُوهُمْ وَلْيَكُنْ لَكُمْ بِهَا لِلنَّاسِ أَمْرٌ، وَهَذَا عِيدٌ مُبَارَكٌ مُحَرَّمٌ الصَّوْمِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ صَوْمُكُمْ قَبْلَهُ مَبْرُورًا، وَأَنْ تَكُونُوا

مِمَّنْ سَعَىٰ لِلْآخِرَةِ سَعِيَّهَا وَكَانَ سَعِيَّهُ مَشْكُورًا، وَاحْذَرُوا الْبُهْتَانَ فَإِنَّهُ
مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ الْفَتَانِ.

وَمَنْ قَالَ: إِنَّ الْأَشَاعِرَةَ تَزِيدُ فِي الْقُرْآنِ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ آمِينَ فَقَدْ بِهِتَهُمْ،
وَكَانَ مِنَ الظَّالِمِينَ، لَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْنُوا الزِّيَادَةَ فِيهِ وَأَنَّهُ مِنْهُ، وَمُرَادِي النَّهْيِ
عَنْ بِهِتِهِمْ لَا الْأَمْرُ بِآمِينَ، وَلَا النَّهْيُ عَنْهُ فِي غَيْرِ الصَّلَاةِ، وَهُمْ يَقُولُونَهُ
فِي مَائَاتٍ مِنَ السَّنِينَ وَلَمْ يَتَوَهَّمُوا أَحَدٌ أَنَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ، وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ
بِصَلَاةِ الْعِيدِ وَزَكَاةِ الْفِطْرِ، فَإِنَّهُمَا عِنْدَ عَلِيٍّ وَأَبِي سَعِيدٍ مَتَلَوْتَانِ فِي

الذِّكْرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: 14-
15]، رَكَعَتَانِ بِالْفَاتِحَةِ وَمِثْلُ سُورَةِ "الْأَعْلَى" وَ أَرْبَعُ تَكْبِيرَاتٍ بَعْدَ
تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ، وَبِالْفَاتِحَةِ وَمِثْلُ سُورَةِ "وَالشَّمْسِ" وَ ثَلَاثُ تَكْبِيرَاتٍ
بَعْدَ قِرَاءَةِ رَكْعَةِ الْخَتَامِ.

وَصَاعَانِ عَنْ نَفْسِكَ وَعَنْ كُلِّ مَنْ لَهُ عَلَيْكَ الْإِطْعَامُ، مِنْ غَالِبِ مَا تَأْكُلُ
مِنْهُ فِي رَمَضَانَ أَوْ فِي الْعَامِ، وَذَلِكَ بِصَاعِ بَلَدِي، كَمَا قَالَ الذَّهَبِيُّ
الْإِبْرِيزِيُّ، الشَّيْخُ عَبْدُ الْعَزِيزِ؛ وَاحْذَرُوا الْحَرَامَ وَالْمَعِيبَ فَمَا لَكُمْ فِيهِمَا مِنْ
الْأَجْرِ نَصِيبٌ، وَأَحْسِنُوا إِلَى أَزْوَاجِكُمْ فَإِنَّهُنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ عَوَانٌ،
وَأَمْسِكُوهُنَّ وَلَوْ كَرِهْتُمُوهُنَّ مِنْ عَجَائِزٍ أَوْ غَوَانٍ، وَأَعْطُوا عَنْهُنَّ زَكَاةَ
الْأَبْدَانِ، وَفِي الْأَثَرِ: الْأَوَّلَى إِخْرَاجُهَا قَبْلَ الْفَجْرِ، وَلَا تُؤَخَّرُوا لِعَدِّ إِلَّا

لُعْذُرٍ، وَزَكَاةُ الْفِطْرِ مُتَأَكِّدَةٌ عَلَى الْقَادِرِ لَا وَاجِبَةٌ، وَهَذِهِ هِيَ الْقَوْلَةُ الصَّائِبَةُ، وَإِنَّمَا تَعْلَقُ صَوْمُ رَمَضَانَ فِي الْهَوَاءِ حَتَّى تُمْتَلَّ، قَبْلَ نَسْخِ فَرَضِهَا بِزَكَاةٍ مَا يَتِمُّوْلُ.

وَكَانَتْ صَلَاةُ الْعِيدِ بِالصَّحَرَاءِ تُصَلَّى، وَتَلَكُمُ السَّنَةُ، ثُمَّ صَلَّاهَا بِالْمَسْجِدِ بَلَى⁽¹⁾، فَتَوْبَعَ عَلَى ذَلِكَ فِي الْبِلَادِ، وَلَا بَأْسَ بِالرُّجُوعِ إِلَى أَصْلِهَا الْمُعْتَادِ، مَعَ مُجَانِبَةِ مَا يُؤَدِّي إِلَى الْفُسَادِ.

وَفِي عِيدِ شَوَّالٍ: صَلَاةُ الْخَصْمِ، وَهِيَ تَخَاصُمٌ عَنْ مُصَلِّيْهَا كَمَا يَشْعُرُ بِهِ الْأَسْمُ، وَعَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (صَدَقَةُ الْفِطْرِ طَهْرٌ لِلصَّائِمِ مِنَ الرَّفَثِ وَاللَّغْوِ وَطُعْمَةٌ لِلْمَسَاكِينِ).

وَيَسْتَحِبُّ إِحْيَاءُ لَيْلَةِ الْفِطْرِ، وَالْغَسْلُ لَهُ وَكَوْنُهُ بَعْدَ الْفَجْرِ، وَأَوْصِيَكُمْ بِبَدْيِ دُعَائِكُمْ بِتَعْظِيمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، فَمِنْهُ وَجُودُكُمْ وَالْمَرْجِعُ إِلَيْهِ، ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ آيَتَا بِهِمَا فِي وَسْطِ الدُّعَاءِ فَمَنْ الْخَلَلَ يَسْلَمْ، وَاجْعَلُوهُمَا آخِرَ الدُّعَاءِ فَبِهِمَا يَخْتَمُ، أَمَرَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِلَيْهِ نَدَبٌ، وَقَالَ: (لَا تَجْعَلُونِي كَالْقَدَحِ يُوضَعُ ثُمَّ يُشْرَبُ)، وَمَنْ كَتَبَهُمَا كَانَ كَمَنْ أَدَامَهُمَا بِلَا سُكُوتٍ، مَا بَقِيَتْ الْحُرُوفُ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِقِرَائَتِهَا ثُبُوتٌ.

(1) أي اسم رجل

وَأَوْصِيَكُمْ بِتَّبَعِ آيَاتِ الْعَمَلِ فِي الْقُرْآنِ فَتَعْمَلُوا بِهَا، كَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ
وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَصَلَةِ الرَّحِمِ وَالْجَارِ، وَحَقِّ الْأَزْوَاجِ، وَالْأَمْرِ
وَالنَّهْيِ وَالِاسْتِئْذَانِ وَالسَّلَامِ عِنْدَ إِرَادَةِ الدُّخُولِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَبِتَّبَعِ آيَاتِ التَّركِ فِيهِ فَتَتْرَكُوا، كَشَرْبِ الْخَمْرِ وَالزِّنَا
وَالْغِيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالْكَذْبِ وَسُوءِ الظَّنِّ وَالْحَسَدِ وَالظُّلْمِ وَالْبُهْتَانِ وَالْكِبْرِ
وَالرِّيَاءِ وَالتَّطْفِيفِ وَأَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ ظُلْمًا، وَمَنْ تَابَ قَبْلَ الْغَرْغَرَةِ أَوْ
مَادَامَتْ فِيهِ الرُّوحُ وَلَمْ يَعَيْنِ ﴿١﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَعَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا

صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا

رَحِيمًا ﴿٢﴾ [الفرقان: 70]، فَمَنْ تَابَ عَنْ إِهْمَالِ فِي عَمَلٍ تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْهُ تَوْبَتَهُ
وَأَثَابَهُ ثَوَابَ مَنْ نَوَى وَمَا أَهْمَلَ، وَمَنْ تَابَ عَمَّا اقْتَرَفَ مِنْ رِيَاءٍ، رَدَّ
اللَّهُ لَهُ عَمَلَهُ وَجَعَلَهُ مُخْلِصًا كَانَ لَهُ لَمْ يَرَأَ.

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ تَوْبَةَ عَبْدٍ
ظَالِمٍ لِنَفْسِهِ لَا يَمْلِكُ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نَشُورًا، وَأَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ﷺ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنْوَاعٌ وَأَفْضَلُ وَأَفْضَلُ
وَمَفْضُولٌ، وَالَّذِي تَكْتَبُهُ الصَّحَابَةُ إِلَى الْأَعْدَاءِ وَالْمُسْلِمِينَ هَذَا اللَّفْظُ:

صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَاشْرَبَ مِنْ كُلِّ كَأْسٍ تَسْلَمُ مِنْ كُلِّ بَأْسٍ، وَاعْمَلْ جَهْدَكَ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ، فَفِيهِ يَظْهَرُ مَا تُخْفِيهِ، وَعَاشِرُ بِالْمَعْرُوفِ وَمَا يَجُوزُ مِنَ الْمَأْلُوفِ، وَلَا سِيَّمَا الصَّاحِبُ بِالْجَنْبِ، وَقَدْ قِيلَ أَنَّهُ هُوَ الزَّوْجُ، فَاتَّقِ اللَّهَ فِيهَا يَصْحَبُكَ الْحَوْجُ، وَمِمَّا تَكَلَّمَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلِسَانُهُ بِالْمَوْتِ يَتَلَحَّجُ، وَبَدَنُهُ بِشِدَّتِهِ يَتَرَجَّرُ، اللَّهُ اللَّهُ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّهُنَّ عَوَانٌ فِي أَيْدِيكُمْ أَيْ كَأْسِيرَاتٍ، وَالْأَسِيرُ يُحَسِّنُ إِلَيْهِ وَلَوْ كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَوْ الْمُشْرِكَاتِ.

وَعَنْهُ ﷺ: (يَهْتَزُّ الْعَرْشُ بِالطَّلَاقِ)، وَعَنْهُ ﷺ: (أَبْغَضُ الْحَلَالِ إِلَى اللَّهِ الطَّلَاقُ)، وَمَنْ الْفَوَاحِشُ أَنْ يَتَزَوَّجَ الْمَرْأَةُ إِذَا كَبُرَتْ طَلَّقَهَا، وَيَلْتَحِقُ فِي ذَلِكَ أَنْ يَتَزَوَّجَ غَنِيَّةٌ أَوْ صَحِيحَةٌ وَإِنْ افْتَقَرَتْ أَوْ مَرَضَتْ فَارْقَهَا، وَكَانَ الْحَقُّ أَنْ يُمْسِكَهَا وَيُنْفِقَهَا، يُطَلِّقَهَا لِقَسْوَةِ قَلْبِهِ كَأَنَّهَا جَنَتْ عَلَيْهِ أَعْظَمَ جَنَايَةٍ، وَلَوْ كَانَتْ عَنِ الْحُبِّ لَهُ فِي الْغَايَةِ، وَلِلصَّابِرَةِ عَلَى سُوءِ خُلُقِ زَوْجِهَا أَجْرٌ أَسِيَّةٌ يَوْمَ يَعَاقِبُ أَصْحَابُ الْقُلُوبِ الْقَاسِيَةَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لِلصَّابِرِ عَلَى سُوءِ خُلُقِ زَوْجِهِ مِثْلُ أَجْرِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَإِنْ رَأَى جُرْحَةً فِي دِينِهَا مِمَّا لَا يُحَرِّمُهَا طَلَّقَهَا أَوْ أَدْبَهَا أَوْ وَعَظَهَا حَتَّى تَتُوبَ،

فَإِنْ تَأْتَبُ نَصُوحًا فَعَلَيْهَا تُبُّ وَنِكَاحَهَا وَرُجْعَتَهَا أَبُ

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تُطَلِّقُوا النِّسَاءَ إِلَّا مِنْ رِيَّةٍ). شَكَى نَبِيُّ زَوْجِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: إِنَّ ذَلِكَ حَظُّكَ مِنَ الْعَذَابِ وَأَصْبِرْ لَهَا فَلَكَ الثَّوَابُ، شَكَى إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِزَوْجِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَهِيَ زَوْجُهُ سَارَةٌ أَنَّهَا لَهُ ضَارَةٌ، فَقَالَ لَهُ: اصْبِرْ لَهَا فَإِنَّهَا زَوْجُكَ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ لَكَ فِي الدُّنْيَا جَنَّةٌ.

وَلْيَعْدِلْ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَعَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ لَمْ يَعْدِلْ بَيْنَ نِسَائِهِ - أَيْ فِي الْجَمَاعِ أَوْ النِّفَقَةِ أَوْ الْكِسْوَةِ - بُعِثَ وَشَقُّهُ مَائِلٌ)، وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ جَنَسَ مَا هُوَ عَامِلٌ، فَكَيْفَ يَسُوغُ الْقَوْلُ بَعْدَ وَجُوبِ الْعَدْلِ فِي الْجَمَاعِ، مَعَ أَنَّهُ لِرِضَاهُنَّ وَسَخَطِهِنَّ إِلَى الْفُرُوجِ ارْتِجَاعٌ، وَعَلَيْهِمَا مَعَاوِزٌ مَا لَمْ يَعْلَمَهَا مِنْ نَحْوِ الطَّهَّارَةِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَيْضِ وَغَسَلِ الْجَنَابَةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ رَاعٍ عَلَيْهَا، فَكَانَ إِهْمَالُهُ لَهَا عَارًا وَشَنَارًا، قَالَ اللَّهُ

تَعَالَى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحریم: 06]، وَإِنْ صَامَتْ تَطَوُّعًا فَعَلَيْهَا الْوِزْرُ وَلَهُ الْأَجْرُ إِنْ لَمْ يَأْذَنْ لَهَا، وَلَا تَخْرُجُ وَلَا تُعْطَى مِنْ مَالِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَرِضَاهُ، وَإِلَّا لُعِنَتْ حَتَّى تَتُوبَ وَتَعْمَلَ بِمَا الشَّرْعُ قَضَاهُ.

وَإِذَا لَزِمَتِ الْمَرْأَةُ بَيْتَهَا وَحَفِظَتْ نَفْسَهَا وَأَطَاعَتِ اللَّهَ وَقَامَتْ بِالْعِيَالِ فَلَهَا مِثْلُ مَا لِرِوَجِهَا مِنْ صَلَاتِهِ فِي الْجَمَاعَةِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ.

وَحَافِظٌ عَلَى حَقِّ الْجَارِ وَلَا تَكَلُّهُ إِلَى غَيْرِكَ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَالْأَوْلَادِ إِلَّا إِنْ كَانَ أَمِينًا، وَهُوَ وَاحِدٌ يَسَارًا حَالِ الْخُرُوجِ وَاثْنَانِ يَمِينًا، قَالُوا وَلَيْسَ لِلْجَارِ الدَّابِرُ حَقٌّ إِلَّا إِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا لِلتَّأْوُلِ خَرَقٌ، وَقِيلَ لَهُ حَقٌّ مُطْلَقًا وَهُوَ الْحَقُّ، وَلِلْجَارِ حَقٌّ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِبْدَةِ الْأَصْنَامِ، وَلِلْمَوْحِدِ الْقَرِيبِ حَقُّ الْجَوَارِ وَحَقُّ الْإِسْلَامِ وَحَقُّ الْأَرْحَامِ، وَلَا يَقْبَلُ عَمَلٌ مُؤْذِي الْجَارِ، وَيُبْعَثُ مِنَ الظُّلْمَةِ الْفَجَّارُ، وَأَهْلُ الدَّارِ قَبْلَ الْجَارِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: (الْجَارُ قَبْلَ الدَّارِ)، فَمَعْنَاهُ إِذَا أَرَدْتَ سُكْنَى دَارٍ فَانْظُرْ أَوَّلًا لَعَلَّ فِي جَارِهَا مَا يَضُرُّكَ مِنَ الْعَارِ، كَمَا أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: (الرَّفِيقُ قَبْلَ الطَّرِيقِ) إِذَا أَرَدْتَ سَفَرًا فَالْتَمِسْ أَوَّلًا رَفِيقًا يَلِيقُ، وَحُرْمَةُ الْجَارِ كَحُرْمَةِ الْأُمِّ، وَحَقُّهُ فَوْقَ حَقِّ الْعَمِّ، وَظَنُّ ﷺ أَنَّ سَيِّئَاتِ الْجَارَانِ كَمَا يَتَوَارَثُ مَعَ مَنْ وَلَدَهُ الْإِنْسَانُ، وَحَرَامٌ أَنْ تَبَيْتَ وَأَنْتَ شَبْعَانُ رِيَّانُ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ جَارَكَ عَرِيَّانُ أَوْ صَدِيَّانُ، وَلَا تَظْلِمُهُ بِرَائِحَةٍ وَلَا بِالْإِظْلَالِ، وَلَا بِإِظْهَارِ مَا خَفِيَ مِنْ أَفْعَالِهِ وَالْأَقْوَالِ، وَلَا فِي بَدَنِهِ أَوْ عَرَضِهِ أَوْ حَالِ مِنَ الْأَحْوَالِ.

وَمَا يُذَكِّرُ مِنَ الْحُدُودِ فِي الْبِنَاءِ وَالِاسْتِعْلَاءِ وَالْحَفْرِ وَالْغَرْسِ عِنْدَهُ جَارِيَةٌ فِي الْحُكْمِ، وَفِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ، فَلَا يُؤَاخِذُ بِهَا عَبْدُهُ لَأَنَّهَا أُمُورٌ بَيِّنَتْ لِمَا لَا بَدَّ مِنْهُ وَهُوَ الْمَعَاشِرَةُ، فَهِيَ حَقٌّ لَزِمَهُ تَحْمِلُهُ وَلَوْ

كَرَهُهُ إِذْ لَا انْتِهَاءَ لِلْكَرَاهَةِ لَوْ أُعْتَبِرَتِ الْمَعَاشِرَةُ، وَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى هَذَا الْمَحَلِّ سَأَلْتُ فَأُجِبْتُ بِقَوْلِي: وَعَلَى صَاحِبِ الدَّارِ بِنَاءُ مَجْرَى لِمَاءِ جَارِهِ فِيهَا، لِأَنَّهُ لَهُ وَلَهُ التَّصَرُّفُ فِيهِ بِإِجْرَائِهِ حَيْثُ شَاءَ فِي مَوَاضِعَ يَبْدِيهَا أَوْ يُخْفِيهَا، فَلَوْ بَنَى عَلَيْهِ غَرْسَهُ لَمْ يَجِدِ الْجَارُ حَبْسَهُ، وَيُرَوَّى: مَنْ أَذَى جَارَهُ مَلَكَهُ اللَّهُ دَارَهُ.

وَمِنْ آخِرِ مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ ﷺ: (اللَّهُ اللَّهُ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) أَيِ وَإِلَّا فَقَدْ اخْتَلَّ إِيمَانُكُمْ، وَعَنْهُ ﷺ: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ سَيِّءُ الْمَمْلَكَةِ)، وَأَنَّهُ وَالْخَبُّ وَالْخَائِنُ وَالْمَاكِرُ مُشْرَفُونَ عَلَى الْمَهْلَكَةِ، وَيَجِبُ زَجْرُ مَنْ يُجِيعُ دَابَّتَهُ أَوْ يَحْمِلُهَا مَا لَا تُطِيقُ مِنَ الْعَمَلِ، كَمَا كَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي شَأْنِ الْعَبِيدِ قَدْ فَعَلَ.

وَانْفَعُ مَنْ كَانَ مِنَ الْمَوْتَى يُعِينُكَ قَبْلَ مَوْتِهِ وَلَا سِيَّمَا الْوَالِدَانِ، وَلَا تَطْمَعُ أَنْ يَنْفَعَاكَ مِنَ الْقَبْرِ فَإِنَّهُمَا مَحْبُوسَانِ، وَلَيْسَ فِي طَاقَتِهِمَا أَنْ يَدْعُوا لَكَ وَهُمَا بِشَأْنِهِمَا مَشْغُولَانِ، وَلَا تَنْسَهُمَا أَوْ تَجْفُوهُمَا، وَيَعْبِئُنِي قَوْلُ الْقَائِلِ:

زُرْ وَالِدَيْكَ وَقِفْ عَلَى قَبْرَيْهِمَا	فَكَأَنِّي بِكَ قَدْ نُقِلْتُ إِلَيْهِمَا
لَوْ كُنْتُ فِي قَبْرٍ وَكَانَا بِالْبَقَا	زَارَاكَ حَبَوًّا لَا عَلَى قَدَمَيْهِمَا
مَا كَانَ ذَنْبُهُمَا إِلَيْكَ فَطَالَمَا	مَنْحَاكَ مَحْضُ الْوُدِّ مِنْ نَفْسَيْهِمَا

كَانَا إِذَا سَمَعَا أَنِينَكَ أَسْبَلَا
وَتَمَنَّا لَوْ صَادَفَا لَكَ رَاحَةً
فَنَسِيتَ حَقَّهُمَا عَشِيَّةَ أُسْكِنَا
فَلْتَلْحَقْنَهُمَا غَدًا أَوْ بَعْدَهُ
وَلْتَنَدِمَنَّ عَلَى فَعَالِكَ مِثْلَمَا
بُشْرَاكَ لَوْ قَدَمْتَ فَعَلَاءَ صَالِحَا
وَقَرَأْتَ مِنْ عَايِ الْكِتَابِ بِقَدَرِ مَا
فَاحْفَظْ حَفِظْتَ وَصِيَّتِي وَاعْمَلْ بِهَا
دَمَعِيهِمَا جَرِيًّا عَلَى خَدَيْهِمَا
بِجَمِيعِ مَا يَحْوِيهِ مُلْكُ يَدَيْهِمَا
تَحْتَ الثَّرَى وَسَكَنْتَ فِي دَارِيهِمَا
حَتْمًا كَمَا لَحَقَا هُمَا أَبَوَيْهِمَا
نَدَمًا هُمَا نَدَمًا عَلَى فَعْلِيهِمَا
وَقَضَيْتَ بَعْضَ الْحَقِّ مِنْ حَقِّيهِمَا
تَسْطِيعُهُ وَبَعَثْتَ ذَاكَ إِلَيْهِمَا
فَعَسَى تَنَالُ الْفَوْزَ مِنْ بَرِيهِمَا

وَعُمْدَةٌ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا
تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾ [البقرة: 82]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ
تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾ [الأنعام: 151] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا
تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾ [الإسراء: 23] وَقَوْلُهُ تَعَالَى:
﴿وَعَابُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾ [النساء: 36]
وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ

بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا ﴿[العنكبوت: 07] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ

الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَى

وَهْنٍ وَفَصَلَّهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدِكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿[القمان:

14-13] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا ﴿[الاحقاف: 14-13] وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿وَبِرًّا بِوَلَدَيْهِ﴾ [مريم: 14] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَبِرًّا بِوَلَدَيْهِ﴾ [مريم: 32]

وَانْفَعُهُمَا بِالْمَالِ وَالْبَدَنِ، وَحَلَاوَةِ اللِّسَانِ فَإِنَّهَا بَعْضُ أَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ،
وَتَذَكُّرٍ فِي حَقِّهِمَا مَا يَكُونُ إِذَا بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ، وَقِيلَ ذُقِ إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ.

وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ فَمَنْ لَمْ يَحَاسِبْ نَفْسَهُ اجْتَنَى مَالًا يَتَمَنَّى، وَمَنْ
حَاسَبَهَا انْتَهَى إِلَى مَا اشْتَهَى، وَاعْتَدَّ لِنَفْلٍ وَلَوْ بَرَكَعَةً كَمَا فَعَلَ عُمَرُ،
وَاتَّبَعَهُ عَلَى ذَلِكَ زُمَرٌ، وَلَوْ بَقُوعِدٍ أَوْ اضْطِجَاعٍ أَوْ اسْتِنَادٍ، وَلَوْ تَسْقُطُ
إِنْ أُزِيلَ مَا عَلَيْهِ مِنْكَ اعْتِمَادٌ، أَوْ بِإِيمَاءٍ مَعَ قُدْرَتِكَ عَلَى الْأَفْعَالِ، أَوْ
بِتَيْمَمٍ مَعَ وَجُودِ الْمَاءِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى الِاسْتِعْمَالِ، أَوْ عَلَى دَابَّةٍ مُحَرَّمًا إِلَى
الْقَبْلَةِ مُتَوَجِّهًا إِلَى مَا إِلَيْهِ الْأَوَّلُ، وَلَوْ كَانَ فِي خَارِجِ بَطْنِهَا أَوْ خَارِجِ

فَرَجَهَا أَوْ فِي أَرْجُلِهَا الْبَوْلُ، وَلَا بُدَّ لَصَلَاةِ الْإِيمَاءِ فِي قِيَامٍ أَوْ قُعُودٍ أَوْ اضْطِجَاعٍ مِنْ كَوْنٍ مَحَلِّ التَّحِيَّاتِ وَمَحَلِّ انْتِهَاءِ الرَّفْعِ مِنَ السَّجْدَةِ الْأُولَى أَخْفَضُ مِنْ مَحَلِّ الرُّكُوعِ وَفَوْقَ مَحَلِّ السُّجُودِ، وَلَا بُدَّ مِنْ رَفْعِ الْوَجْهِ فِي التَّحِيَّاتِ عَنْ جِهَةِ الْأَرْضِ إِلَى جِهَةِ الْقِبْلَةِ، هَذَا مَا ظَهَرَ لِلْخَطِيبِ، فَاَنْظُرْ مَا يَرَوِي عَنْ مَنْ قَبْلَهُ مِمَّنْ هُوَ مُصِيبٌ، وَلَا تُبْطِلْ بِمُقَابَلَةِ وَجْهِ الْقُطْبِ، وَلَا بِكَوْنِهِ فِي مَسْجِدِكَ أَوْ أَقْرَبُ فَإِنَّمَا هُوَ كَمَتَاعِ الْبَيْتِ فَقَطْ، وَلَا يَضُرُّكَ مَا فِيهِ مِنَ النَّجَسِ كَالْبَوْلِ وَالْقَيْءِ، إِلَّا إِنْ كَانَ الْمَسُّ.

وَقَدَرْتُ قَلْتَيْنِ مَائِعٍ كَرَيْتِ وَخَلٌّ وَلَبَنٍ وَسَمْنٍ لَا يُنْحَسُ إِنْ لَمْ يَتَغَيَّرْ كَالْمَاءِ، وَيُوضَعُ بَلْبَنٍ نَحْوُ نَوَاةٍ فِي جَامِدٍ فَيُنْحَسُ مِنْ حَيْثُ بَلَغَ دُونَ مَا مَسَّهُ مِنْ جِدَارِ الْإِنَاءِ، وَذَلِكَ إِنْ لَمْ يَنْلُهُ مِنَ النَّجَسِ أَثَرٌ، وَاشْكُرْ مَنْ شَكَرَ بِهِذَا وَبَرَّ.

وَدَعَ الْوَسْوَاسَ فِي الطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ وَسَائِرِ الْعِبَادَاتِ، فَإِنَّكَ تَكْرَهُهَا لَتَعْبِ الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ بِالْإِعَادَاتِ، وَذَلِكَ مِنْكَ عِبَادَةٌ لِلشَّيْطَانِ، وَإِثْبَاتٌ مِنْكَ لَهُ إِلَيْكَ لِلْحُجَّةِ وَالسُّلْطَانِ، وَإِذَا وَصَفَ لَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ وَفَاهَ قَلْبُكَ، كَفَاكَ هَذَا النَّفْيُ الَّذِي قَلْبُكَ يَحُوزُ، وَلَا تَحْتَاجُ إِلَى السُّكُوتِ وَزِيَادَةِ النَّفْيِ فَافْهَمْ فَبِالْفَهْمِ تَفُوزُ، وَإِنْ شَكَّكَتْ

أَلَاكَ اثْنَتَانِ أَوْ ثَلَاثٌ فِي الْغُسْلِ فَرَدُّ غُسْلَةٍ اسْتِصْحَابًا لِلْأَصْلِ، وَلَا كَرَاهَةَ بِهَا إِذَا لَمْ تَتَعَمَّدْ أَنَّهَا زَائِدَةٌ، وَلَوْ كَانَتْ عِنْدَ اللَّهِ رَابِعَةً، لِأَنَّ الْأَحْكَامَ الْخَمْسَةَ تَكُونُ فِي الْعَمْدِ لَا فِي غَيْرِهِ وَاقِعَةً.

قَالَ شُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: (أَحَبُّ مَا قُرِبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى قَطْرَةُ دَمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ دَمْعَةٌ جَرَتْ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ)، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ: الْأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَطْرَتَانِ: قَطْرَةُ دَمٍ جَرَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَطْرَةُ دَمْعٍ جَرَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى. وَلَا تَكُنْ تَدْعِي دَوَاعِيَ الْخُشُوعِ وَلَا تَخْشَعُ، كَحَجَرِ الشَّحْدِ يَشْحَدُ الْحَدِيدَ وَلَا يَقْطَعُ، وَلَا تَكُنْ كَالزُّجَاجِ مَهْمَا يُصَبُّ مِنْ قَرَعٍ انْهَشَمَ، وَلَوْ كَانَ لَا يَنْفِذُهُ الْبَرْدُ وَالْحَرُّ وَالرِّيحُ وَالشَّمُّ، وَكَنْ كَالْحَدِيدِ مَتَى وَقَعَ عَلَى شَيْءٍ أَوْ وَقَعَ عَلَيْهِ شَيْءٌ انْقَصَمَ الشَّيْءُ أَوْ انْقَصَمَ، وَأَظْهَرُ مِنْ نَفْسِكَ لِمَنْ نَافَقَ أَوْ أَشْرَكَ أَنَّكَ صَنِيدٌ، فَيَذِلُّوا لَكَ وَلَوْ تَحَقَّقَ عِنْدَهُمْ أَنَّكَ رَعِيدٌ.

وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ فِي الْمَوْتِ وَالْوُجُودَ فِي الْفَوْتِ، وَاجْعَلْ أَمْرَكَ لِلَّهِ فَإِنْ فَاتَكَ فِي دَارِ الْفَنَاءِ أَمْرٌ عَاجِلٌ، فَلَكَ فِي دَارِ الْبَقَاءِ ذُخْرٌ آجِلٌ.

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْوَاقِدِيُّ: حَدَّثَنِي نَعِيمٌ عَنْ جَدِّهِ، وَكَانَ أَحْفَظَ النَّاسِ لِلْفُتُوحِ: لَمَّا وَجَّهَ كِسْرَى أَرْدَشِيرَ رُسْتَمَ إِلَى قِتَالِ سَعْدٍ أَنْفَذَ مَعَهُ نِصْفَ

بَيْتَ مَالِهِ وَهِيَ سِتْمَاةٌ أَلْفُ أَلْفٍ إِلَى الْمَصْفِ، فَلَمَّا صَفَّتِ الصُّفُوفُ وَضَعَهَا أَمَامَ الْجَيْشِ وَقَالَ: كُلُّ مَنْ قَتَلَ فَارِسًا فَلَهُ كَذَا وَكَذَا، وَمَنْ قَتَلَ رَاجِلًا فَلَهُ كَذَا وَكَذَا، فَصَارَ ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، فَأَرْسَلَ أَمِيرُ الْجَيْشِ الْخُمْسَ مَعَ سَعْدٍ وَهُوَ مَالٌ كَثِيرٌ لَا يُحْصَى عَدَدُهُ لِكَثْرَتِهِ.

فَلَمَّا وَصَلَ الْمَالُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بَكَى، وَقَالَ: أُوَيْسٌ لِمَنْ يَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا أَوْ يَمِيلُ إِلَيْهَا ثُمَّ قَرَأَ: ﴿قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ

وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ ابْتَقَى﴾ [النساء: 77] فَوَاللَّهِ لَمْ يَلْتَمِسْ مِنْهَا قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا وَلَا دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا، فَقَالَتْ لَهُ حَفْصَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ رَفَقْتَ بِنَفْسِكَ وَأَكَلْتَ طَعَامًا أَطْيَبَ مِنْ طَعَامِكَ، وَلَبَسْتَ ثَوْبًا أَحْسَنَ مِنْ ثَوْبِكَ، فَقَدْ فُتِحَتْ لَكَ الْفُتُوحُ وَأَتَتْ لَكَ الْأُمُوالُ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُهُ غَضَبًا وَقَالَ لَهَا: نَاشَدْتُكَ اللَّهَ أَنْ تُخْبِرَنِي عَنْ أَفْضَلِ مَا اقْتَنَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ، قَالَتْ: ثَوْبَانِ يَلْبَسُهُمَا يَوْمَ الْوَفْدِ وَيَخْطُبُ فِيهِمَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ، فَقَالَ: أَيُّ طَعَامٍ كَانَ يَأْكُلُ عِنْدَكُمْ؟، قَالَتْ: خُبْزَ الشَّعِيرِ وَكَانَ عِنْدَنَا فِي أَسْفَلِ عَكَّةِ دَسَمٌ، فَإِنْ تَظَاهَرَ طَعْمُهُ فِيهَا يَقُولُ: (قَدْ زِدْتَنِي فِي الدَّسَمِ)، وَقَالَ: فَأَيُّ بَسَاطٍ يَبْسُطُهُ عِنْدَكُمْ؟، قَالَتْ: كَانَ لَنَا كِسَاءٌ نَجْعَلُهُ فِي الصَّيْفِ تَحْتَنَا، وَفِي

الشتاء نفرش نصفه و نلتحف نصفه، فقال: يا حفصة مثلي ومثل صاحبي كثلاثة نفر تتابعوا طريقا، فمضى الأول وقد تروّد زادا فبلغ، وتبعه الثاني فسلك طريقه فمضى إليه، ثم تبعهما الثالث فإن لزم طريقهما ورضي بزادهما كان معهما، وإن سلك غير طريقهما لم يجتمع معهما أبدا.

قلت: قد بلي الدين فاسألوا الله تعالى أن يجعلني له مجدداً، ولأحواله مسدداً، ولما خف منه مشدداً، وقد أخبرني عجوز بما فيه إن شاء الله تعالى أفوز: أن أبي حين زار رسول الله ﷺ سأل الله تعالى أن يخرج من ظهره من يجدد الدين ويحييه، وبعد ضعفه وخفائه يقويه ويديه، فرأى في منامه أنه ﷺ يكتب في ظهره: اللهم أخرج من يجدد الدين من هذا الظهر، وكن له شارحاً للصدر.

وأول من صدق هذه الرؤيا من أهل المغرب الأذني العلامة عبد الله بن يحيى، ومن عمان وزنجبار وبلاد قومنا أكثر من مائة إذا شرع في عددهم أحد يعبى، وكل أقرؤا بأنني مجتهد في المرتبة الثالثة وهي العليا ما بين مصرح ومشير بفضل الله تعالى؛ والصلاة والسلام على البشير النذير، وبحب مشاهد بدر وحنين، مع سيد أهل الكونين، الذي من آمن به فقد اهتدى، ومن خالفه اعتقاداً أو فعلاً أو قولاً فقد اعتدى.

وَيَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ وَلَوْ مَرَّةً فِي الْعُمُرِ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَقُولَهُ مِثْلَ:
﴿اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تَوَكَّلْ عَلَى الْمُلْكِ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ
تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. ﴿وَهُوَ اللَّهُ
أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ
كُفُوًا أَحَدٌ﴾. ﴿وَاعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ
شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ شَرِّ
حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾. ﴿وَاعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ
النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ
النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ لَا مَا خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ نَفْسَهُ
أَوْ رَسُولَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ [الحن: 01].

اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَالِمٌ بِذُنُوبِنَا فَاعْفِرْهَا وَعَالِمٌ بِعُيُوبِنَا فَاسْتَرْهَا وَعَالِمٌ بِأُمُورِنَا
فَأَصْلَحْهَا وَعَالِمٌ بِحَوَائِجِنَا فَاقْضِهَا إِنَّكَ تَقْضِي بِالْحَقِّ وَلَا يَقْضِي عَلَيْكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

جلسة

[illegible]

اعْلَمُوا أَنَّ الْقَاضِيَ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَسِوَاهُ مُقْضِي عَلَيْهِ، لَا شَيْءَ لَهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَالْوَاجِبُ عَلَيْكُمُ الشُّكْرُ لِنِعْمِهِ، وَالصَّبْرُ عَلَى مَا أُصِيبَتْ بِهِ مِنَ الْمَكَارِهِ وَنِقَمِهِ، وَلَا تَجْزَعُوا فَإِنَّهُ خَالِقُكُمْ وَمُفْنِيكُمْ، أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ

يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا، وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ لِلنَّاسِ مَا يَتَمَنَّى، وَالصَّبْرُ عَلَى
الْمَصَائِبِ - عَفَا اللَّهُ - بِتِسْعِمَائَةِ دَرَجَةٍ لِمَشَقَّتِهَا، وَعَمَّا تَشْتَهِيهِ النَّفْسُ
مِنَ الْمَعَاصِي أَوِ اللَّذَاتِ بِتِسْمَائَةِ، وَعَلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ بِثَلَاثِمَائَةِ، وَمَنْ
فَضَّلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ جَعَلَ لِلْعَبْدِ ثَوَابًا عَلَى مَا ذَكَرَ، وَالْأَصْلُ أَنَّ
يُؤَاخِذُ الْمُكَلَّفَ عَلَى نِسْيَانِهِ وَخَطْئِهِ لِعَظَمِ عِزَّتِهِ، لَكِنْ لِسَعَةِ رَحْمَتِهِ عَفَا
اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْخَطَا وَالنِّسْيَانِ، فَقَالَ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ

أَخْطَأْنَا ﴿البقرة: 186﴾، وَمَنْ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ مَا اللَّهُ لَهُ اخْتَارَ، فَازَ بِالْجَنَّةِ وَنَجَا مِنَ النَّارِ.

أَمَّا النَّارُ فَسَبْعُ طَبَقَاتٍ بَعْضُهَا تَحْتَ بَعْضٍ، أَسْفَلُهَا لِمَنْ أَظْهَرَ التَّوْحِيدَ
بِلِسَانِهِ وَأَضْمَرَ الشِّرْكَ فِي الْقَلْبِ، وَأَعْلَاهَا لِمَنْ وَحَدَ بَقْلِهِ وَلِسَانَهُ

وَمَاتَ مُصْرًا عَلَى ذَنْبٍ، وَكُلُّ مَنْهَن نَارٍ شَدِيدَةُ الْحَرِّ بَعِيدَةُ الْقَعْرِ، وَهِيَ لِلْكَاذِبِ مُطْلَقًا، وَقِيلَ: فِيمَا فِيهِ حَقٌّ مَالٌ أَوْ بَدَنٌ، وَمَانِعٌ حَقَّ الْجَارِ، وَظَانُّ السُّوءِ الْمُحَقِّقُ، وَهُوَ الْجَارِي عَلَى ظَنِّهِ فِي فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ أَوْ اعْتِقَادٍ، وَالْحَاسِدُ الْبَاغِي بِأَنْ يُؤَدِّيَهُ حَسَدُهُ إِلَى ظُلْمِ الْمَحْسُودِ فِي بَدَنِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ عَرْضِهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَتَارَكَ الْإِسْتِذَانَ وَتَارَكَ السَّلَامَ قَبْلَ الدُّخُولِ، وَفَاعَلَ سَائِرَ الْكِبَائِرِ، وَهِيَ مُظْلِمَةٌ سَوْدَاءٌ، مَعْدُودَةٌ لِلْمَغْتَابِ وَالنَّمَامِ وَالْمُتَكَبَّرِ وَالْكَاذِبِ وَتَارَكَ الصَّلَاةَ وَشَارِبَ الْخَمْرِ وَمَا يَلْحَقُهَا مِنَ الْمُفْتَرَاتِ كَالْفَيُّونَ وَالْجُوزَةَ وَلِشَارِبِ الدُّخَانِ، وَلَمَنْ يَقْصُ لِحْيَتَهُ وَهُوَ فِعْلُ الْمَجُوسِ، قَالَ ﷺ: (أَمَرَنِي رَبِّي فِي اللَّحْيَةِ بِالْإِعْفَاءِ وَفِي الشَّارِبِ بِالْإِحْفَاءِ)، وَلَمَنْ قَرَأَ اسْمَ مُحَمَّدٍ أَوْ أَحْمَدَ أَوْ سَمِعَهُ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ، وَتَجَزَى الصَّلَاةَ عَلَيْهِ وَلَوْ فِي قَلْبِهِ، وَالْأَوَّلَى الْجَهْرُ بِهَا فِي غَيْرِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَجَاءَ فِي الْأَثَرِ الْأَمْرُ بِالْجَهْرِ بِهَا وَالْحِظُّ عَلَيْهِ، وَمَنْ خَافَ مِنَ الْمَجُوسِ أَوْ غَيْرِهِمْ أَسْرَّ بِهَا.

وَالنَّارُ لِمَنْ ذُكِرَ، وَلَمَنْ عَقَّ أَحَدَ وَالِدَيْهِ، وَحَقَّ الشَّيْخَ أَعْظَمُ مِنْ حَقِّ الْوَالِدَيْنِ، وَلِلزَّانِي وَلَوْ بِيَدِهِ أَوْ بِقَلْبِهِ مُصْرًا عَلَيْهِ، وَفَاعَلَ الرِّبَا، وَالْبَيْعُ بِالْخُدْعَةِ وَالْإِنْفِسَاخِ وَالتَّطْفِيفِ، وَبَيْعُ الْمَيْتَةِ وَمَا عَمِلَ مِنْهَا مِنْ صَابُونٍ وَصُورَةِ الشَّمْعِ، وَبَائِعُ الْعَذْرَةِ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهَا مَخْلُوطٌ بِالسَّمَادِ غَيْرِ

مَقْصُودٌ بِالذَّاتِ، وَلَقَاطِعِ الرَّحِمِ الْوَاجِبَاتِ، وَلِمَانِعِ الزَّكَاةِ، وَعَلَّمُوا يَا مَنْ لَزِمَتْهُ أَنْ تَأْخِيرَهَا مَعَ إِمْكَانِ إِخْرَاجِهَا إِلَى بَعْدِ الْمَوْتِ أَوْ قَبْلَهُ شَبِيهَ بِمُطْلِ الْغَنِيِّ، فَإِنَّ أَصْحَابَهَا الْفُقَرَاءَ مُحْتَاجُونَ إِلَيْهَا وَهُمْ غُرْمَاءٌ عَلَى مَنْ لَزِمَتْهُ، وَهَذَا خَوْفٌ مَنِّي وَاحْتِيَاظٌ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ: يَهْلِكُ بِمُضِيِّ الْعَامِ الثَّانِي، وَلَا يَغْرُنْكُمْ مَا وَرَدَ مِنَ الْإِبْصَاءِ بِهَا فَإِنَّ مَعْنَاهُ مُجَرَّدُ الْإِحْزَاءِ.

وَفِي النَّارِ ثَعَابِينَ، طُولُ كُلِّ وَاحِدٍ سَبْعُونَ أَلْفَ ذِرَاعٍ، وَعَقَارِبُ لِكُلِّ مِنْهَا سَبْعُونَ أَلْفَ ذَنْبٍ، فِي كُلِّ ذَنْبٍ سَبْعُونَ أَلْفَ فَقْرَةٍ، وَلَا يَرْتَابُ الْعَاقِلُ فِي ذَلِكَ لَصَغَرِ جُثَّةِ الْإِنْسَانِ الْآنَ، فَإِنَّ السَّنَّ الْوَاحِدَةَ مِنَ الشَّقِيِّ كَجَبَلٍ أُحْدٍ فِي النَّارِ، وَمَقْعَدُهُ كَالرَّبْدَةِ.

قَالَ الثَّلَاثِي: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا بَنِي آدَمَ كَيْفَ تَعَصُونَِي وَأَنْتُمْ تَجْزَعُونَ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ وَالرَّمْضَاءِ، وَجَهَنَّمَ لَهَا سَبْعُ طَبَقَاتٍ يَأْكُلُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فِي كُلِّ طَبَقَةٍ مِنْهَا سَبْعُونَ وَادِيًا، فِي كُلِّ وَادٍ سَبْعُونَ أَلْفَ شُعْبَةٍ مِنَ النَّارِ، فِي كُلِّ شُعْبَةٍ سَبْعُونَ أَلْفَ دَارٍ مِنَ النَّارِ، فِي كُلِّ دَارٍ سَبْعُونَ أَلْفَ بَيْتٍ مِنَ النَّارِ، فِي كُلِّ بَيْتٍ سَبْعُونَ أَلْفَ بَيْرٍ مِنَ النَّارِ، فِي كُلِّ بَيْرٍ سَبْعُونَ أَلْفَ تَابُوتٍ مِنَ النَّارِ، فِي كُلِّ تَابُوتٍ سَبْعُونَ أَلْفَ شَجَرَةٍ مِنَ الزَّقُّومِ، وَتَحْتَ كُلِّ شَجَرَةٍ سَبْعُونَ أَلْفَ قَيْدٍ مِنَ النَّارِ، وَفِي كُلِّ قَيْدٍ سَبْعُونَ أَلْفَ سِلْسِلَةٍ مِنَ النَّارِ، وَسَبْعُونَ أَلْفَ ثَعْبَانٍ، طُولُ كُلِّ ثَعْبَانٍ

سَبْعُونَ أَلْفَ ذِرَاعٍ، فِي جَوْفِ كُلِّ ثَعْبَانٍ بَحْرٌ مِنَ السَّمِّ الْأَسْوَدِ،
وَسَبْعُونَ أَلْفَ عَقْرَبٍ، فِي كُلِّ عَقْرَبٍ سَبْعُونَ أَلْفَ ذَنْبٍ، طُولُ كُلِّ
ذَنْبٍ سَبْعُونَ أَلْفَ ذِرَاعٍ، فِي كُلِّ ذَنْبٍ سَبْعُونَ أَلْفَ فَقْرَةٍ، فِي كُلِّ فَقْرَةٍ
سَبْعُونَ أَلْفَ رِطْلٍ مِنَ السَّمِّ الْأَسْوَدِ، ﴿وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ
مَنْشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ

لَوْ قُعُ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ [الطور: 01-08].

يَا بَنِي آدَمَ مَا خَلَقْتُ هَذِهِ النَّيْرَانَ إِلَّا لِكُلِّ عَاقٍ لَوَالِدَيْهِ، وَلِكُلِّ بَخِيلٍ
وَنَمَامٍ وَمُرَاءٍ، وَمَنَاعِ الزَّكَاةِ مِنْ مَالِهِ، وَالزَّانِي وَآكِلِ الرِّبَا وَشَارِبِ
الْخَمْرِ وَظَالِمِ الْيَتِيمِ وَالْأَجِيرِ، وَالنَّائِحَةِ، وَجَامِعِ الْحَرَامِ، وَنَاسِي الْقُرْآنِ،
وَكُلِّ فَاجِرٍ وَمُؤَذِّ لِلْجِيرَانِ، ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا
صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا

رَحِيمًا﴾ [الفرقان: 70].

فَارْحَمُوا أَنْفُسَكُمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ؛ فَإِنَّ الْبَدَنَ ضَعِيفٌ وَالسَّفَرُ بَعِيدٌ وَالْحَمْلُ
ثَقِيلٌ وَالْمَنَادِي إِسْرَافِيلُ، وَالنَّارُ لَظَى، وَالْقَاضِي رَبُّ الْعَالَمِينَ،
وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ.

قَالَ ﷺ: (مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ وَقْتًا وَاحِدًا فَكَأَنَّمَا قَتَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ سَكِينٍ، وَمَنْ تَرَكَهَا وَقَتَيْنِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ سَبْعِينَ نَبِيًّا، وَمَنْ تَرَكَهَا ثَلَاثَةً أَوْقَاتٍ فَكَأَنَّمَا هَدَمَ الْكَعْبَةَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، وَمَنْ تَرَكَهَا أَرْبَعَ أَوْقَاتٍ فَكَأَنَّمَا زَنَى بِأَمِّهِ سَبْعِينَ مَرَّةً، وَمَنْ تَرَكَهَا خَمْسَةَ أَوْقَاتٍ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا عَاصِي أَنَا بَرِيءٌ مِنْكَ وَأَنْتَ بَرِيءٌ مِنِّي، فَاخْرُجْ مِنْ بَيْنِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَاطْلُبْ رَبًّا غَيْرِي). انْتَهَى مَا ذَكَرَهُ التَّلَاتِي.

وَإِذَا كَانَتْ السَّبْعِينَ مَذْكُورَاتٍ فِي الْأَوْرَاقِ الْمُسَمَّاةِ بِالصُّحُفِ الْأَرْبَعِينَ الْمُنْسُوبَةِ إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَمَا يُدْرِينَا بِأَنَّهَا الصُّحُفُ الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى، وَكَمْ مِنْ دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْهَا بَلْ مَسَائِلُ مَجْمُوعَةٌ، وَشَهْرٌ أَنَّ الصُّحُفَ خَمْسُونَ عَلَى شَيْتِ ابْنِ آدَمَ، وَثَلَاثُونَ عَلَى إِدْرِيسَ وَعَشْرَةٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَشْرَةٌ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَلَمْ تَذَكَرْ صُحُفَ لِدَاوُدَ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ تِلْكَ الصُّحُفُ الْمُنْسُوبَةُ إِلَيْهِ هِيَ الزُّبُورُ.

وَيُرْوَى أَنَّ: بَيْنَ مَنْكَبِي الْكَافِرِ مَسِيرَةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَوْ خَمْسَةَ أَيَّامٍ وَعَرْضُهُ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ، وَرُوي: غَلِظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَفَخَذَهُ مِثْلُ الْبَيْضَاءِ، وَمَقْعَدُهُ مَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَفِي لَفْظٍ: عَرَضَ جِلْدُهُ سَبْعُونَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ الْمَلِكِ، وَعُضْدُهُ مِثْلُ الْبَيْضَاءِ، وَفَخَذَهُ مِثْلَ وَرْقَانٍ، وَمَقْعَدُهُ

مَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالرَّبْدَةِ وَمَكَّةَ، وَبَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وَعَاتِقِهِ مِائَةٌ عَامٍ، وَأَنَّهُ لِيَجْرَ لِسَانُهُ فَرَسَخًا أَوْ فَرَسَخَيْنِ يَطْوُهُ النَّاسُ.

وَفِي رِوَايَةٍ: إِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَنْ يَعْظُمُ فِي النَّارِ كَمَا يَعْظُمُ الْعَاقُ لَوَالِدَيْهِ وَمَنْعِ الزَّكَاةِ، وَالْعَالِي أَيْ مَنْ يَسْرِقُ مِنَ الْغَنِيمَةِ، وَرَوَى: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْلُلْ﴾

يَأْتِ بِمَا غُلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿[آل عمران: 161] هَذَا يَغُلُّ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ وَهَذَا يَغُلُّ بِأَلْفِي دِرْهَمٍ يَأْتِي بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ مَنْ كَانَ ضَرْسُهُ مِثْلَ أَحَدٍ، وَفَخْذُهُ مِثْلَ وَرْقَانٍ وَسَاقُهُ مِثْلَ الْبَيْضَاءِ، وَمَجْلِسُهُ مِثْلَ لَمَّا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالرَّبْدَةِ أَفَلَا يَحْمِلُ؟، وَالْبَيْضَاءُ وَوَرْقَانُ: جَبَلَانِ بِالْمَدِينَةِ، وَالرَّبْدَةُ: قَرْيَةٌ بِهَا، وَفِي رِوَايَةٍ: وَذِرَاعُ الْجَبَّارِ وَهُوَ ذِرَاعُ مَلِكٍ بِالْيَمَنِ لَهُ ذِرَاعٌ مَعْرُوفٌ الْمَقْدَارُ، وَقِيلَ: مَلِكُ الْعَجَمِ، وَقِيلَ: الْمَرَادُ بِلَفْظِ الْجَبَّارِ التَّهْوِيلُ، وَقِيلَ: ذِرَاعُ الْحَدِيدِ الْمَعْرُوفُ الْآنَ.

وَيُرْوَى أَنَّهُ قُرِئَ عِنْدَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلَّمَا نَضَجَتْ

جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا

حَكِيمًا ﴿[النساء: 56]، فَقَالَ مُعَاذُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تُبَدَّلُ فِي سَاعَةِ مِائَةٍ

مَرَّةً، وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَكَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؛ قَالَ

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ فِي جَهَنَّمَ سَبَاعًا وَكَلَابًا مِنْ نَّارٍ، وَأَنَّهُ يَبْعَثُ مَلَائِكَةً يَقْلَعُونَ أَهْلَ النَّارِ بِكَالَالِبِ مِنْ نَّارٍ، وَيَقْطَعُونَهُمْ بِسُيُوفٍ مِنْ نَّارٍ، وَيَلْقَوْنَهُمْ إِلَى تِلْكَ السَّبَاعِ وَالْكَالِبِ كُلَّمَا قَطَعَ كَلَابٌ أُعِيدَ مِثْلُهُ)، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون: 104] (تَحْرِقُ النَّارُ كُلَّ رَجُلٍ فَتَقْلَعُ شَفْتَهُ الْعُلْيَا حَتَّى تَبْلُغَ وَسْطَ رَأْسِهِ، وَتَسْتَرْخِي السُّفْلَى حَتَّى تَضْرِبَ سِرَّتَهُ)، وَيُرْوَى عَنْ أَنَسٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: (أَنَّهُ يَرْسَلُ الْبُكَاءَ عَلَى أَهْلِ النَّارِ فَيَكُونُ حَتَّى تَنْقَطَعَ الدَّمُوعُ، وَيَكُونُ الدَّمُ حَتَّى يَرَى فِي وُجُوهِهِمْ كَهَيْئَةِ الْأَخْدُودِ، وَلَوْ أُرْسِلَتِ السُّفُنُ فِي دُمُوعِهِمْ وَدِمَائِهِمْ لَجَرَتْ)، يَعْنِي إِذَا قُطِعَتْ عَادَتْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ مِنَ الدَّمُوعِ وَالدَّمَاءِ، أَوْ تَبْقَى وَقْتًا عَلَى تِلْكَ الْحَالِ وَتَنْقَطِعُ وَقْتًا وَتَعَادُ عَلَى غَيْرِ تِلْكَ الْحَالِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي عَيْنِينَ هَطَّالَتَيْنِ تَبْكِيَانِ وَتَذَرِفَانِ الدَّمُوعَ وَتَشْفِيَانِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ الدَّمْعُ دَمًا وَالْأَضْرَاسُ جَمْرًا).

وَعَنْهُ ﷺ: (إِنَّ أَهْلَ النَّارِ إِذَا دَخَلُوا النَّارَ بَكُوا الدَّمُوعَ زَمَانًا ثُمَّ بَكُوا قَيْحًا، فَتَقُولُ لَهُمُ الْخَزَنَةُ: يَا مَعْشَرَ الْأَشْقِيَاءِ هَلَّا تَذَكَّرْتُمُ الْبُكَاءَ

فِي الدُّنْيَا، هَلْ تَجِدُونَ الْيَوْمَ مَنْ تَسْتَغِيثُونَ بِهِ، فَيَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ يَا مَعْشَرَ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ وَالْأَوْلَادِ خَرَجْنَا مِنَ الْقُبُورِ عَطَاشًا، وَكُنَّا طُولَ الْمَوْقِفِ عَطَاشًا، وَنَحْنُ الْيَوْمَ عَطَاشًا، فَأَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ) فَيَدْعُونَ أَرْبَعِينَ سَنَةً - أَيْ مَقْدَارَهَا - وَقِيلَ عُمَرُ الدُّنْيَا، فَأَقُولُ لَذَلِكَ الْآنَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلًا لَا يَنْقَطِعُ مُخْلِصًا، ثُمَّ يَجَابُونَ:

﴿إِنَّكُمْ مَكْنُوتٌ﴾ [الزحرف: 77]، فَيَأْسُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [الأعراف: 50] يُنَادِي الرَّجُلُ أَخَاهُ أَغْثِي بِطَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ، فَيَقُولُ:

﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: 50]. وَقَالَ بَعْضُ فِي

قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ﴾ [الزمر: 16] وَ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: 41] إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَنْسِيَ أَهْلَ النَّارِ جَعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ تَابُوتًا عَلَى قَدَرِهِ مِنَ النَّارِ، ثُمَّ يُقْفَلُ عَلَيْهِ بِأَقْفَالٍ مِنْ نَارٍ، ثُمَّ يُجْعَلُ ذَلِكَ التَّابُوتُ فِي تَابُوتٍ آخَرَ مِنْ

نَارٍ وَيَقْفَلُ عَلَيْهِ بِأَقْفَالٍ مِنْ نَارٍ، ثُمَّ يَضْرُمُ بَيْنَهُمَا نَارًا فَلَا يَدْرِي أَحَدٌ أَنَّ فِي النَّارِ غَيْرَهُ.

وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَثَمَانُ طَبَقَاتٍ مُنْبَسِطَةٌ لَا بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، خَلَقَهُنَّ اللَّهُ لِلْمُطِيعِينَ الَّذِينَ لَمْ يَعْصُوهُ وَلِلْعَصَاةِ التَّائِبِينَ، وَفِي كُلِّ جَنَّةٍ تَفَاوُتٌ بَيْنَ أَهْلِهَا حَتَّى أَنَّهُ لَيَرَى مَنْزِلُ بَعْضٍ فَوْقَ بَعْضٍ كَالْكَوْكَبِ الذَّرِيِّ، وَالْجَنَّةُ لِلْفَاعِلِينَ لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، التَّارِكِينَ لَمَّا نَهَى عَنْهُ، وَلَأَهْلِهَا مَا يَشْتَهُونَ فِي حِينِهِمْ، وَلَا يُلْقِي اللَّهُ عِزَّ وَجَلٍّ فِي قُلُوبِهِمْ أَشْتَهَاءَ مَا لَا يَحِلُّ كَالْجَمْعِ بَيْنَ الْمُحْرَمَتَيْنِ، وَتَزْوِيجِ الْمُحْرَمَةِ، وَنِكَاحِ الْأَطْفَالِ فِي الْأَدْبَارِ، وَطُولُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَعَرْضُهُ سَبْعَةُ أَذْرُعٍ ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى، فِي صِفَةِ أَبْنَاءِ الثَّلَاثِينَ سَنَةً.

وَأَمَّا تَنَالُ الْجَنَّةِ بِإِقَامَةِ دِينِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلٍّ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَعْلِمَ الْعِلْمِ وَتَعْلِيمَهُ، وَقَبُولَ الْحَقِّ مِمَّنْ جَاءَ بِهِ مِنْ مِثْلِكُمْ وَمِنْ دُونِكُمْ وَمِنْ فَوْقِكُمْ، وَلَا يَكُنْ أَحَدُكُمْ مُحِبًّا أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُ حَقًّا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ كَلَامٌ خَصَمَهُ حَقًّا، بَلْ تَكُونُ رَغْبَتُهُ فِي ظُهُورِ الْحَقِّ مِنْ حَيْثُ كَانَ.

ثُمَّ إِنَّهُ لَا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِأَمْرِ الْإِسْلَامِ، أَيْ لَا حَظَّ قَوِيًّا، لَكِنْ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ سِوَاءُ قُوَّةِ الْإِسْلَامِ أَوْ ضَعْفُهُ فَهُوَ كَافِرٌ، وَأَخْتَارَ لَكَ

اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالشُّكْرُ لَهُ حَمْدٌ وَشُكْرٌ مَنْ أَصْلَحَ قَلْبَهُ وَعَمَلَهُ،

وَاجْتَنَبَ سَبِيلَ الْغَضَبِ، وَحَازَرَ طُرُقَ الْعَطَبِ، وَإِلَّا صَارَ فِي نَارِ الْآخِرَةِ
كَالْحَطَبِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ عَلَى
الدَّوَامِ، وَعَلَى حَدِّ مَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ، كَمَا صَلَّى عَلَى إِبْرَاهِيمَ
وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ صَلَاةً وَسَلَامًا بِهِمَا نُؤَلِّعُ وَنَهِيْمُ، وَكَمَا أَمَرْنَا ﷺ
قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ أَفْضَلُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ وَأَسْنَى، أَوْ تَشْبِيهَا مِنْهُ لِلْأَعْلَى
بِالْأَدْنَى، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُورٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: 35]

فَإِنَّ ذَلِكَ جَائِزٌ وَارِدٌ وَمُبَاحٌ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَأَنَّهُنَّ آيَاتُوتُ
وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: 58] وَ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيَضٌ مَكْنُونٌ﴾ [الصفات: 49] وَمِثْلُ
ذَلِكَ مَقْرُوءٌ وَمَسْنُونٌ، وَأَكْثَرُوا الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فَإِنَّهَا لَا تَرُدُّ وَلَوْ كَانَتْ مِنْ عَاصٍ لَأَنَّ لَهُ ﷺ فِيهَا نَفْعًا، فَذَلِكَ مِنْ
جُمْلَةِ مَا لَهُ فِيهِ اخْتِصَاصٌ، وَلَاسِيَمَا فِي اللَّيْلَةِ الْغَرَاءِ وَالْيَوْمِ الْأَغْرَ، فَإِنَّ
ثَوَابَهُمَا فِيهِمَا أَكْثَرُ، وَاشْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى فِي الضَّرَاءِ كَمَا تَشْكُرُونَهُ فِي
السَّرَّاءِ، وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدُوا، وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ
بَلْ أَكْثَرُ، فَإِنَّ فِيهِمَا تِسْعُ مِائَةٍ وَكُلُّ شُكْرَةٍ تَسْتَدْعِي أُخْرَى لِأَنَّهَا
نِعْمَةٌ، وَالشُّكْرُ عَلَى النِّعْمَةِ أُخْرَى، وَوُجُوبُ الشُّكْرِ عِنْدَ أَصْحَابِنَا
شَرْعِيٌّ وَعِنْدَ قَوْمِنَا عَقْلِيٌّ، وَيَتَرْتَّبُ عَلَى الْأَوَّلِ أَنَّهُ يُعَذَّرُ صَاحِبُ الْجَزِيرَةِ

إِذْ لَمْ يَصِلْهُ الشَّرْعُ، وَالثَّانِي أَنَّهُ لَا يُعَذَّرُ فِي عَدَمِ الشُّكْرِ بَعْدَ التَّوْحِيدِ لِأَنَّ لَهُ عَقْلًا يَعْلَمُ بِهِ وَجُوبَهُ فَلَزِمَهُ الشُّكْرُ كَمَا لَزِمَهُ التَّوْحِيدُ، إِلَّا أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: (لَوْ قَالَ حَاتِمٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَنَجَا) فَنَقُولُ: قَوْلُهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَوْحِيدٌ وَشُكْرٌ.

وَقَدْ عَلِمْتُمْ وَشَاهَدْتُمْ أَنَّ سَاعَاتِ عَدَمِ الْحُزَنِ أَكْثَرُ مِنْ سَاعَاتِ الْحُزَنِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَفِي السَّهْلِ وَالْحُزَنِ، لِأَنَّ السُّوءَ يَحْدُثُ تَارَاتٍ، وَجُلَّ دَهْرُكَ لَكِنَّكَ غَفَلْتَ فِي الْمَسَرَّاتِ، وَتَأَمَّلْ مَعَ ذَلِكَ مَا رُوِيَ أَنَّ مَطَرَ الضَّرَاءِ ثَلَاثُ مِائَةِ عَامٍ، وَالسَّرَّاءِ مِائَةُ عَامٍ، أَمْخَصَّصُ أَمْ مَحْمَلُ عَامٍ، وَمَا رُوِيَ أَنَّ مَطَرَ الضَّرَاءِ أَمَطَرَ عَلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ تِسْعَةً وَثَلَاثِينَ عَامًا، وَمَطَرُ السَّرَّاءِ عَامًا، وَقِيلَ: مَطَرُ الضَّرَاءِ ثَمَانِيَةً وَثَلَاثِينَ وَمَطَرُ السَّرَّاءِ عَامِينَ.

وَالْحَقُّ أَنَّ نَعْمَلَ عَمَلًا يُؤْلَفُ بَيْنَ الْهَرِّ وَالْفَارِ، وَبَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ، وَمِنْ نِعْمَةِ تَعَالَى شَهْرُ شَوَّالٍ الَّذِي هُوَ مِنَ الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ السَّرْدِ، وَأَوَّلُ أَشْهُرِ الْحَجِّ وَرَابِعُهَا رَجَبُ الْفَرْدِ، فَلَوْ شَاءَ إِنْسَانٌ أَحْرَمَ بِالْحَجِّ أَوَّلَ لَيْلَةٍ تَلِي رَمَضَانَ وَتَجَرَّدَ وَمَكَّثَ فِي بَلَدِهِ إِلَى حِينَ يَدْرُكُ الْحَجَّ فِيهِ، أَوْ سَافَرَ مِنْ حِينِهِ أَوْ مِنْ حِينَ شَاءَ، مَاسِكًا عَنِ الرَّفَثِ وَالْفُسُوقِ وَالْجِدَالِ لِحَوَارِحِهِ وَفِيهِ -أَيِ فَمِهِ- فَهُوَ يَلْبِي وَيَعْبُجُ، وَإِذَا جَاءَ أَوَانُ النُّحْرِ فَلْيَشْجُ، وَالْدَّرْهَمُ

الوَاحِدُ فِي الْحَجِّ بِأَلْفٍ دِرْهَمٍ، وَلَا يَكُنْ لَكَ فِي تَرْكِهِ رَغْبَةٌ أَوْ هَمٌّ،
وَأَمَّا يُعْتَبَرُ الْحَجُّ بِالْحَلَالِ، وَأَمَّا التَّصَرُّفُ فِيهِ بِالْحَرَامِ فَذَنْبٌ آخَرٌ
وَوَبَالٌ، فَإِذَا قَالَ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: لَا لَبَّيْكَ وَلَا
سَعْدِيكَ، حَجُّكَ غَيْرُ مَقْبُولٍ وَأَنْتَ فِي ذَلِكَ الْمَالِ مَسْئُولٌ، فَارْدُدْ
الْمَالَ إِلَى أَهْلِهِ وَتَعَالَى، وَعَامِلُنَا بِأَحْسَنِ الْفَعَالِ، وَجَاءَ عَنْهُ ﷺ: (الْحَجُّ
الْمَبْرُورُ جَزَاءُهُ الْجَنَّةُ) فَخُذْ مِنْهُ وَمَنْ سَائِرُ الْأَعْمَالِ جَنَّةٌ، وَأَخْلَصَ لِلَّهِ
تَعَالَى أَعْمَالُكَ، فَإِنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى سَرَائِرِ عَبْدِهِ وَعَالَمٌ بِمُهْمَلِهِ وَهَزْلِهِ
وَجَدِّهِ، وَاعْتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ مَا وَجَدْتُمُوهُمَا فَقَدْ قَرَّبَ مِنْهُمَا،
وَاسْكُنُوا بِلَدًا تَجِدُونَهُمَا مِنْهُ، فَاحْتَالُوا قَبْلَ أَنْ يَحْصَلَ رَفْعُهُمَا، ففِيهِمَا
مِنْ الْبَرَكَةِ فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا مَا لَا تَتَعَلَّقُ بِهَا الْأَطْمَاعُ، وَوَيْلٌ لِمَنْ فَرَطَ
فِيهِمَا إِلَى هَذَا الْوَقْتِ وَأَضَاعَ، وَزُرْ قَبْلَهُمَا أَوْ بَعْدَهُمَا قَبْرَ الْمُصْطَفَى،
وَمَنْ أَدَاهُمَا وَلَمْ يَزُرْ فَقَدْ جَفَا، وَمَنْ حَجَّ نَافِلَةً فَقَدْ دَايَنَ رَبَّهُ وَهُوَ يُوَفِّي
وَيَزِيدُ وَلَا يَمُطِّلُهُ وَيَغْفِرُ ذَنْبَهُ، أَلَمْ تَسْمَعْ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ قَوْلَهُ تَعَالَى:

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ [الرحمن: 60].

عَجَبًا لِمَنْ عَنِ الطَّاعَةِ أَعْرَضَ وَلَهَى، كَأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنْ

أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ إِنَّ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ [الإسراء: 07]،

وَاللَّهُ أَعَزُّ وَأَجَلُّ، مَا ذَكَرَ اللَّهُ ذَاكِرٌ وَهَلَلٌ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَذُلُّ مَنْ اعْتَرَى بِهِ، وَلَا يَكْشِفُ مَنْ اسْتَتَرَ بِهِ، وَلَا يَحْوِيهِ زَمَانٌ وَلَا مَكَانٌ، وَلَا يَدْرِكُ بِحَاسَّةٍ وَلَا قَلْبٍ، وَلَهُ فِي خَلْقِهِ الْإِيجَابَ وَالسَّلْبَ، ذُو عِزَّةٍ وَجَبْرُوتٍ، حَيٌّ بِالذَّاتِ لَا يَمُوتُ، يَضْحَكُ وَيَبْكِي يَمِيتُ وَيُحْيِي، وَلَا بَدَّ مِنْ انْتِهَاءِ الْخَلْقِ عَلَوْا وَأَسْفَلُوا، وَلَا تَتَوَهَّمُوا أَنَّ تَحْتَ الثَّوْرِ وَالصَّخْرَةِ وَالْبَحْرِ وَالظُّلْمَةِ أَشْيَاءٌ عَلَى اسْتِمْرَارٍ وَإِلَّا تَسْلُسِلْ، وَاللَّهُ عَالِمٌ بِمَا كَانَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَهُوَ مَنَا قَرِيبٌ وَعَلَيْنَا رَقِيبٌ، وَرَاقِبُوهُ مَرَاقِبَةً مِنْ أَيْقَنَ أَنَّهُ يَرَاهُ، وَأَنَّهُ يَسْمَعُ مَنْ يَنَاجِي وَيَقْرُبُ مِنَ الرَّاجِي.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لِللَّهِ مَلَائِكَةٌ يَنَادُونَ فِي أَفْوَاهِ السَّكَّاتِ يَوْمَ الْفُطْرِ: يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ أَخْرُجُوا إِلَى رَبِّ كَرِيمٍ يَغْفِرُ الذَّنْبَ الْعَظِيمَ). وَأَكْثَرُوا التَّكْبِيرَ وَالتَّسْبِيحَ وَالتَّهْلِيلَ وَالِاسْتِغْفَارَ كَمَا رَوَاهُ أَبُو سَعِيدٍ، مِنَ اللَّيْلِ إِلَى أَنْ تَقُومُوا إِلَى صَلَاةِ الْعِيدِ، وَقَدْ قِيلَ: أَنَّ هَذَا التَّكْبِيرَ أَعْظَمُ مِنْ تَكْبِيرِ عِيدِ الْأَضْحَى، فَلْيَدْمُ عَلَيْهِ الْعَاقِلُ إِنْ أَمْسَى وَأَصْبَحَ وَأَضْحَى، وَاحْمَدُوا اللَّهَ وَاشْكُرُوهُ عَلَى الْإِيجَادِ وَالْإِبْقَاءِ وَسَائِرِ النِّعَمِ، وَاسْأَلُوهُ دَفْعَ مَا اسْتَوْجَبْتُمُوهُ بِمَعَاصِيكُمْ مِنَ النَّقَمِ.

لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَلَغَتْ الرُّوحُ أَنْفَهُ وَرَأْسَهُ عَطَسَ وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَنَادَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَمَا أَنْتَ عَنْ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَتِلْكَ كَلِمَةٌ قَالَهَا آدَمُ، وَهُوَ فِي الْوُجُودِ آخِرُ الْعَالَمِ، خَلَقَهُ
 آخِرَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَسِوَاهُ، وَخَلَقَ قَبْلَهُ كُلَّ مَا هُوَ سِوَاهُ، وَلَا يَتَصَوَّرُ أَنْ
 يَتَكَلَّمَ قَبْلَ وَصُولِ الرُّوحِ إِلَى قَلْبِهِ، اللَّهُمَّ إِلَّا إِنْ أَحْيَا قَلْبُهُ قَبْلَ مَا قَبْلَهُ، أَوْ
 يَجْعَلُ لَهُ تَمْيِيزًا قَبْلَهُ، كَمَا يَفْعَلُ فِي الْجَمَادِ سَهْلُهُ وَصَلْبُهُ، وَقَامَتِ
 الرُّوحُ فِي رَأْسِهِ وَقَلْبِهِ وَسَاقِيهِ مِائَةَ سَنَةٍ، فَتِلْكَ ثَلَاثُمِائَةٍ بِإِذْنِ مَنْ لَا
 تَأْخُذُهُ نَوْمٌ وَلَا سَنَةٌ، وَلَا تُغْلِظُهُ اللَّلسَنَةُ، وَلَكَمَا خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَأَى عَلَى
 سُرَادِقِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عَلِمَ أَنَّهُ
 أَفْضَلُ الْخَلْقِ فَتَوَسَّلَ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى حِينَ عَصَا، وَلَحِقَهُ النَّدَمُ وَتَابَ ثُمَّ
 اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى.

وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ فَإِنْ كُنُمْ لَمْ تَخْلُقُوا سُدًى، فَتُوبُوا يَا إِخْوَانِي؛ فَقَدْ قَالَ

اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: 186]
 كَمَا تَابَ أَبُوكُمْ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَقَبِلَ
 تَوْبَتَكُمْ، وَأَنْزَلَ النِّصْرَ عَلَيْكُمْ، وَأَكْثَرُوا الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى مَنْ لَهُ
 الْعُودَانِ، الْمَنْبَرُ وَالْعَصَا نَبِيُّ بَنِي عَدْنَانَ، الْمَذْكُورُ فِي الصُّحُفِ وَالتَّوْرَةِ
 وَالزَّبُورِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، الَّذِي تَوَسَّلَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ فَجَاءَ مِنْ حَرِّ
 النَّيِّرَانِ، وَفِي كُلِّ عَمَلٍ مَقْبُولٍ وَمَرْدُودٍ، إِلَّا الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ الْمَوْدُودِ،
 فَلِكُونِهِ لَهُ فِيهَا نَفْعٌ تَقْبَلُ، وَلَوْ صَدَرَتْ مِنْ يَفْسُقٍ وَيَجْهَلٍ.

وَجَاءَ حَدِيثٌ بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ: الْعِيدَيْنِ زِينُوا، وَحَدِيثٌ بِالتَّقْدِيسِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ: الْعِيدَيْنِ لِينُوا، وَمَنْ أَهْدَى فِي عِيدِ الْفِطْرِ لَأَمْوَاتِ الْمُسْلِمِينَ (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ) ثَلَاثَةَ مِائَةِ مَرَّةٍ أُدْخِلَ فِي كُلِّ قَبْرِ نُورًا وَفِي قَبْرِهِ أَلْفُ نُورٍ، فَنَقُولُ ذَلِكَ لَهُ مِنَ النَّارِ سِتُورٌ.

وَاجْتَهِدُوا يَا إِخْوَانِي فِي شَوَالٍ، بِالِاسْتِغْفَارِ وَصَالِحِ الْأَعْمَالِ، وَقَدْ قَالَ ابْنُ عَمْرٍو: سَمِيَ شَوَالٌ لِأَنَّهُ يُشِيلُ الذُّنُوبَ، وَفِيهِ أَنَّ هَذَا الْأَسْمَ مِنْ قَبْلِ الْإِسْلَامِ، وَلَا يَفْرُقُونَ بَيْنَ الذَّنْبِ وَالذُّنُوبِ، فَلَعَلَّهُ أَرَادَ أَنَّهُ وَافَقَ أَوْ كَانَتْ لَهُمْ مَعْرِفَةٌ بِذَلِكَ، لِأَنَّ لَهُمْ مِنْ بَقِيَّةِ الدِّينِ بَعْضُ الْمَسَالِكِ، وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ لَرَفْعِ النُّوقِ فِيهِ الْأَذْنَابِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

وَمَنْ قَالَ قَبْلَ صَلَاةِ أَحَدِ الْعِيدَيْنِ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) أَرْبَعُمِائَةِ مَرَّةٍ زَوَّجَهُ اللَّهُ أَرْبَعُمِائَةَ حَوْرَاءَ، وَكَأَنَّمَا أَعْتَقَ أَرْبَعُمِائَةَ رَقَبَةٍ، وَوَكَّلَ اللَّهُ بِهِ مَلَائِكَةً يَبْنُونَ لَهُ الْمَدَائِنَ، وَيَغْرِسُونَ لَهُ الْأَشْجَارَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَقَالَ ﷺ: (خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْفِطْرِ وَغَرَسَ شَجَرَةَ طُوبَى يَوْمَ الْفِطْرِ وَاصْطَفَى جِبْرِيلَ لِلْوَحْيِ يَوْمَ الْفِطْرِ)، وَعَنْهُ ﷺ (مَنْ أَحْيَا لَيْلَةَ التَّرْوِيَةِ وَلَيْلَةَ عَرَفَةَ وَلَيْلَةَ النَّحْرِ وَلَيْلَةَ الْفِطْرِ وَلَيْلَةَ نِصْفِ شَعْبَانَ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ)، وَيُصَلِّي قَبْلَ صَلَاةِ عِيدِ الْفِطْرِ

أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ: الْأُولَى بِالْفَاتِحَةِ وَسُورَةِ "سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى"،
وَالثَّانِيَةُ: بِالْفَاتِحَةِ وَ "وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا"، وَالثَّالِثَةُ: بِالْفَاتِحَةِ وَسُورَةِ
"وَالضُّحَى"، وَالرَّابِعَةُ: بِالْفَاتِحَةِ وَسُورَةِ "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ".

وَيُصَلِّي قَبْلَ صَلَاةِ عِيدِ الْفِطْرِ أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ: الْأُولَى بِالْفَاتِحَةِ وَ
"وَالضُّحَى" وَالثَّانِيَةُ بِالْفَاتِحَةِ وَ "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ" وَالثَّالِثَةُ بِالْفَاتِحَةِ وَ "إِذَا
زُلْزِلَتْ" وَالرَّابِعَةُ بِالْفَاتِحَةِ وَ "وَأَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ" وَفِي كُلِّ وَاحِدَةٍ "قُلْ هُوَ
اللَّهُ أَحَدٌ" خَمْسَ مَرَّاتٍ آخَرًا.

وَعَنْهُ ﷺ: (مَنْ صَلَّى يَوْمَ الْفِطْرِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِيدِ،
الْأُولَى بِالْفَاتِحَةِ وَسُورَةِ "سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى" وَالثَّانِيَةُ بِالْفَاتِحَةِ وَ
"وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا" وَالثَّالِثَةُ بِالْفَاتِحَةِ وَ "وَالضُّحَى" وَالرَّابِعَةُ
بِالْفَاتِحَةِ وَ "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" لَمْ يَقُمْ مِنْ مَقَامِهِ إِلَّا مَغْفُورًا لَهُ ذُنُوبُ
خَمْسِينَ سَنَةً مُقْبِلَةً خَمْسِينَ سَنَةً مُدْبِرَةً، وَبِكُلِّ رَكْعَةٍ عِبَادَةُ أَلْفِ سَنَةٍ،
وَقَضَى لَهُ أَلْفَ حَاجَةٍ مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَذْنَاهَا الْمَغْفِرَةُ،
وَيَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَآمَنَهُ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ
وَأَعْطَاهُ بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ وَبَرَاءَةً مِنَ النِّفَاقِ)، وَيُرْوَى أَنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ بَعْدَ
صَلَاةِ عِيدِ الْاَضْحَى.

وَيُرَوَّى مِنْ صَلَّى يَوْمَ الْعِيدِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ بَعْدَ كُلِّ نَبْتٍ وَكُلِّ وَرَقَةٍ حَسَنَةً، وَأَنَا أَذْكُرُ لَكُمْ أَحَادِيثَ ذُكِرَتْ فِي الْكُتُبِ وَلَوْ بَلَا إِسْنَادًا، وَلَوْ لَمْ تُوْجَدْ فِي كُتُبِ الْحَدِيثِ، وَفَضَّلُ اللَّهُ وَاسِعًا، لَكِنْ كَيْفَ تَكُونُ الْمَغْفِرَةُ أَذْنَى حَتَّى تَفُوقَهَا تِسْعُمَائَةً وَتَسْعٌ وَتَسْعُونَ حَاجَةً، وَكُلُّ شَيْءٍ دُونَ الْمَغْفِرَةِ إِلَّا رَضَى اللَّهُ تَعَالَى فَهُوَ فَوْقَهَا، مَعَ أَنَّ الْمَغْفِرَةَ تَسْتَلْزِمُ الرِّضَى الدَّائِمَ، وَالرِّضَى الدَّائِمُ يَسْتَلْزِمُهَا، وَذَلِكَ كَمَا رُوِيَ: أَنَّهُ إِذَا اسْتَقَرَّ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ: هَلْ رَضَيْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا كَيْفَ لَا نَرْضَى وَقَدْ غُفِرَتْ لَنَا وَأَدْخَلْتَنَا الْجَنَّةَ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِمْ: إِنِّي رَضَيْتُ عَلَيْكُمْ أَبَدًا، وَهُمْ عَالِمُونَ بِذَلِكَ لَكِنْ امْتَنَّ عَلَيْهِمْ بِهَذَا الْكَلَامِ. وَاجْتَهَدَ بِكُلِّ وَجْهِ فَإِنْ كَانَ أَبُوكَ حَسَنَةً وَأَنْتَ سَيِّئَةً فَإِنَّ إِحْسَانَهُ لَا يَنْفَعُكَ، كَمَا أَنَّ إِسَاءَتَهُ إِنْ أَسَاءَ لَا تَضُرُّكَ.

وَأَصْلُ الْبَوْلَةِ مَاءٌ يَشْتَهَى، وَأَصْلُ الْعَذْرَةِ طَعَامٌ إِلَيْهِ يَنْتَهَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَيَا عَبَّاسُ عَمَّ رَسُولُ اللَّهِ، وَيَا صَفِيَّةَ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، وَيَا آلَ مُحَمَّدٍ: اْعْمَلُوا لَأَنْفُسِكُمْ فَإِنِّي لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، أَلَا لَا يَأْتِينِي النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ وَتَأْتُونِي بِأَنْسَابِكُمْ)، وَلَا تَغْرَنَكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَيْثٌ أَعْجَبَ الْكَفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ، فَأَعْرَضُوا عَنْ نُورِهَا الْبَهِيْجِ، وَقَطَفَهَا النَّضِيْجِ، فَإِنَّهُ سَمٌّ قَاتِلٌ يُوْرِثُ الصُّرَاخَ

وَالْتَعَجِيجَ، وَمَا يُغْنِي الْمَالُ وَالنَّسَبُ، ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: 02]، وَارْغَبُوا فِي رِضَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَا يُنَالُ إِلَّا بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ، وَمِنْهَا الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَاجْتِنَابُ الْقَرَائِضِ، وَمَنْ أَطَاعَهُ إِجْلَالًا فَهُوَ أَعْظَمُ دَرَجَةً وَمَنَالًا، وَأَفْضَلُ مِمَّنْ أَطَاعَهُ خَوْفًا مِنَ النَّارِ، أَوْ طَمَعًا فِي دَارِ الْقَرَارِ، فَهَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءُ، لَا مِنْ جَمْعِ الْمَنْقُولِ وَالْمَعْقُولِ وَحَقَّقَ الْمَقُولَاتِ الْعَشْرَ، وَمَا بِالْوَرَعِ تَسْتَرُ، وَلَا تَتَرَسَّ لِيَوْمِ الْحَشْرِ، خَتَمَ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ، وَكَفَى كُلَّ شَرٍّ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.